مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 26 عدد: 4 (رت 66) السنة: 2022

دور الشعر الشعبي في ثورة التحرير الكبرى

The role of popular poetry in the Great Libertion Revolution

خميسات وسيلة[1]
جامعة قاصدي مرباح ورقلة(الجزائر)
Labomstalah@gmail.com
العيد جلولي
جامعة قاصدي مرباح ورقلة(الجزائر)
djellouli47@gmail.com

تاريخ الوصول 2021/01/08 القبول 2021/12/15 النشر على الخط 2022/05/10
Received 08/01/2021 Accepted 15/12/2021 Published online 10/05/2022

ملخص:

لم يكن الشعر الشعبي الجزائري بمنأى عن الأحداث و الوقائع الجارية في الوطن إبان الثورة التحريرية النوفمبرية الكبرى ، فقد حاول المضي بها أقداما نحو الاستمرارية و الصمود عن طريق بث الحماس في نفوس الأهالي و توعيتهم بمصيرهم ، فرسم لهم معالم الطريق تلك التي حاول فيها المستعمر تضليلهم بكل أشكال العنف و الجبروت مقيدا الآمال الطامحة .لذلك كان من الواجب وجود شعر يدافع عن مقدسات هذه الأمة وعلى رأسها الإسلام وكان من الضروري أن يكون لهذا الشعب شعرا يعبر عن وجدانه وحاجاته ويستجيب لنمط حياتهم المتواضعة محاربا القيم الزائفة بكل أشكالها.

يتفاعل الشعر الشعبي مع مشاعر الغالبية من الشعوب معبرا عن آ مالهم وآلامهم على الرغم من محدودية النظرة واقتصارها على المفاهيم الضيقة. فهل تمكن الشعر الشعبي من احتواء التجربة الجديدة بكل مقاييسها ؟و هل استطاع أن يكون حاضرا في وجدان الأمة الجزائرية متمكنا من قيادتها باحترافية؟

الكلمات المفتاحية: الشعر–الشعبي– الثورة–التحرير.

Abstract:

The Algerian popular poetry was not immune to the current events and facts in the homeland during the great liberation revolution. He tried to move it forward towards continuity and steadfastness by spreading enthusiasm in the hearts of the people and making them aware of their fate. He drew for them the features of the way in which the colonizer tried to mislead them with all forms of violence and tyranny, restricting aspirations and hopes.. Was popular poetry able to contain the new experience with all its standards? Was it able to be present in the nation's consciousness and were we able to lead it professionally?

Keywords: Popular-poetry-Revolution–Liberation **.**

[1] المؤلّف المراسل: **خميسات وسيلة** البريد الالكتروني: **khemissatwassila@gmail.com**

1. مقدمة:

إن نمو الشكل الشعري وتدرجه في التطور يقتضي أن تكون لغته شكلا من أشكال هذا التطور والنمو ،لذلك فإن القاموس اللغوي العتيق لم يعد قادرا على احتواء التجربة الجديدة التي استحال فيها الفرد الجزائري –إبان ثورة التحرير الكبرى – صلصالا في يد المحتل يشكله كيفما يشاء بعدما طوقه بكل أشكال العنف سالبا حريته وفارضا حصاره ،لذلك لم تتمكن اللغة القديمة من احتواء التجربة الجديدة بغية الوصول إلى قلوب الجماهير والتأثير في وجدانهم مستجيبة لمشاكلهم ومعبرة عن احتياجاتهم في سبيل تحقيق النصر والظفر بالسيادة الوطنية حينها اختار الشاعر الشعر الشعبي طريقة يحقق بها هذه الغاية التي كانت في نظره الأقدر على بلوغ مراميه فآثر الشعر الشعبي نموذجا يعبر به عن هذه المأساة بعد ما سقت الثورة الجزائرية الكبرى أبناءها ترياق الشهادة فروتهم بدمائها الزكية

2. تعريف الشعر الشعبي:

لقد نظر الكثير من الدارسين إلى القصيدة الشعرية الشعبية على أنها (**زجل**) أو(**ملحون**)أو(**شعبية**). هذه التسميات التي أملتها –على اختلافها –طبيعة النص الشعري نفسه. فقالوا منه ما هو (**مبيت**) ومنه ما هو موشح ومنه ما هو قصيد، معتمدين على الخصائص التي توفر عليها هذا النص دون سواه، حيث يرى "**محمد المرزوقي**"أن الشعر الملحون أهم من الشعر الشعبي إذ يشمل كل شعر منظوم بالعامية سواء كان معروف المؤلف أو مجهول. وسواء دخل في حياة الشعب فأصبح ملكا له ،أو كان من شعر الخواص ،وعليه فوصف الشعر بالملحون أولى من وصفه بالعامي فهو من لحن يلحن في كلامه أي أنه نطق بكلام عامي أو بلغة عامية غير معربة[1].

وقد انطلق الباحث "**عباس الجراري** "من كلمة الملحون لإطلاق اسم "**الزجل**" على هذه الأشعار التي سماها غيره "**بالملحون** "في معرض حديثه عن اختيار الاسم المناسب للنص الشعري الشعبي مبررا اقتراحه هذا بعوامل قومية ،وفي طليعتها توحيد المصطلح في كل الأقطار العربية مادام أغلبها يسمي هذا النوع من الشعر بالزجل[2]. ومهما يكن من أمر فإن الشعر العامي شعر إقليمي يقصر فهمه على الإقليم لاشتراك شعرائه في المدارك والتصورات الخاصة بهم ،فإذا نقل إلى إقليم آخر خفيت مراميه على أهله عز درکه .

فشعر إقليم وهران لا يستسيغه إقليم ورقلة فهو يختلف عنه في الأوزان وفي المطالع وفي المعاني والتخيلات ذلك أن لكل إقليم لغته ومفرداته الخاصة تلك التي ترتبط بطبيعة البيئة التي يتعايش فيها الناس ممن ينتسبون إلى هذا الإقليم دون غيره

فاستعمال لفظ الكرناف أو القطمير أو اللآفة في إقليم ورقلة مثلا لا يمكن أن يدركه القاموس الوهراني أو القسنطيني أو غيرهما، وإذا كان الجيد منه تدرك جودته في الأقاليم المتقاربة

[1] العربي دحو "الشعر الشعبي ودروه في الثورة التحريرية الكبرى "بمنطقة الاوراس من 1954-1962 الجزء الأول ص25 المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر 1989

[2] المرجع نفسه ص27

لاشتراكهم في المنازع والبواعث لقول الشعر فإنه في أقاليم أخرى سيفقد هذه الجودة وقد لا يؤدي دورا بالغ الأهمية كما يؤديه في بيئته الأم وإقليمه الأصلي[1].

إن التراث الشعبي يتجاوب مع مشاعر الغالبية من الشعوب ،من أساطير شعبية وغناء ورقص وعادات وتقاليد فلا جرم أن يولعوا بالشعر العامي و يتناقلونه ويحفظونه ويرددونه في مجتمعاتهم لقرب معانيه من نفوسهم فهم لا يهتزون للشعر الفصيح الذي لا يفهمون معانيه العميقة[2].

ويذكر لنا الجراري أكثر من إحدى عشر اسما أطلقها الشعراء الشعبيون المغاربة على أشعارهم منها: **الزجل والملحون والموهوب والسبحية والكلام والنظم والنظام والشعر والقريص و الأوزان واللغا والكريحة ...**

وبعض هذه التسميات أطلقها الشعراء الجزائريون على أشعارهم فكانت هي الأخرى متداولة في تونس الشقيقة.

وهكذا نجد أن هذا التنوع يضاهي الطريقة التي أطلقها الشعراء العرب على الشعر المدرسي كالشوارد والعصمئيات والمذهبات والمعلقات وغيرها من الأسماء التي تزخر بها الكتب القديمة ومن ثمة حق للشاعر الشعبي أن يختار هو الآخر أي اسم خطر بباله فوجده مناسبا لقصده وغرضه كالشعر الشعبي والزجل والموشح والملحون والنظم والميزان وغيرها [3] .

لقد أطلق الشعراء الشعبيون تسميات كثيرة ومختلفة على هدا النوع من الشعر تتطابق كثيرا مع مفهوم الطبقات الشعبية لهذا اللون من التعبير أكثر من غيره كتسمية الشعر الملحون والعامي والزجل وذلك للأسباب الآتية :

أولها: يتلخص في كون صفة الشعبية ينبغي أن تستند إلى خصائص ومقومات الشعر الشعبي نفسها ،ضف إلى ذلك أن اللحن صفة مشتركة بين النثر والشعر، وإطلاقها على هذا الأخير فحسب لا يثبت بطريقة جازمة استخدام الملحون في الشعر دون النثر ،كما أن الافتراض بأن الشعر الشعبي إنما كان ينظم من أجل الغناء ليس أمرا قطعيا ،بل إن الشاعر كان ينشد شعره على صورة غنائية ،نظرا لكونه أميا –في الغالب –والغناء أو الترنم هو الطريقة التي تساعده على حفظ الشعر ،فالغناء حالة فرضتها الظروف الحاصلة وليست هدفا من قرض الشعر ،وبتعبير آخر هي بمثابة التدوين والكتابة .

ثانيا: أن الشاعر الشعبي الجزائري قد أطلق على شعره تسميات عديدة ولم يستخدم كلمة الملحون ، أو الزجل، أو الشعر العامي فحسب ،كما أن اختيار المصطلح من قبل الدارسين سيبقى حكرا على هذا المحيط ما لم يستعمل من قبل الشاعر الشعبي نفسه وما لم يشيع لدى الطبقات الشعبية التي تتذوق الشعر ،ومن نماذج ذلك مصطلح **"فولكلور"** الذي لا يزال ليومنا هذا شائعا في الفكر الشعبي على الرغم من ترجمته منذ عهد طويل إلى مصطلح **"المأثورات الشعبية"** كما أقرها المجمع العلمي[3].

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي "التراث الشعبي والشعر الملحون في الجزائر " تحقيق عثمان سعدي . دار الأمة للطباعة والنشر . الجزائر . الطبعة2012 ص03

[2] المرجع نفسه ص 27

[3] العربي دحو "الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الاوراس "ص 31

[3] التلي بن الشيخ "دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة "1945.1930 الشركة الوطنية لنشر والتوزيع . الجزائر. 19893 ص387

[2] المرجع نفسه ص 388

[3] المرجع نفسه ص 389

[4] محمد البشير الإبراهيمي التراث الشعبي والشعر الملحون في الجزائر "تحقيق عثمان سعدي ص3

ثالثها:أن الدارسين والباحثين على اختلافهم استخدموا مصطلح الأدب الشعبي ليشمل الإبداعات الشعبية شعرا ونثرا [2].

3. نشأة الشعر الشعبي :

لا يزال هذا الموضوع يحتاج إلى دراسات مضنية والواقع أن معرفة نشأة الشعر الشعبي موضوع شائك تضاربت فيه الآراء وتعددت فيه المواقف إذ لا يمكن أن نصل إلى رأي قاطع لا يقبل الاحتمال يكشف عن هذه النشأة ،ويحدد تاريخها بدقة [3] .

يعود الاهتمام بالفنون الشعبية إلى القرن التاسع عشر فقد ظهر اصطلاح فنون شعبية فلكلور **Folk فلكلور وتعني :علم، lore وتعني "شعب** "من طرف ويليام تومس william thoms لأول مرة في مجلة بريطانية سنة 1846 والمدلول العام لمصطلح فلكلور هو"**علم الأدب والتقاليد والآداب الشعبية** "كما حددته دائرة المعارف الفرنسي[4].

والمتأمل لنصوص الشعر الشعبي يدرك بساطة تلك الروح العربية الإسلامية التي تطغى عليه، وهو ما يدل على أن ما وصلنا من الشعر الشعبي بعد الفتح ،لا يعني أن سكان الجزائر لم ينظموا الشعر قبل دخول الإسلام ، ذلك أن وجود شعب سابق للإسلام له لغته ،وعاداته، وتقاليده بتطلب الضرورة أن يكون لهذا الشعب شعر يعبر عن وجدانه ، وحاجاته، والدليل على هذا الاعتقاد أن اللهجة المحلية حافظت عن نقائها

و استمراريتها في منطقة لأوراس و ورقلة والقبائل مثلا: كما أن لهذه المناطق فنونا شعبية متأثرة بأنماط الحياة الاجتماعية التي سبقت دخول الإسلام إلى الجزائر ،ثم جاء الإسلام ليحارب الكثير منها [1]

وهذا ما يذهب إليه عبد الله الركيبي في قوله :"**فبالنسبة للجزائر يمكن القول بأن الشعر غير المعرب جاء مع الفتح الإسلامي ،ثم انتشر** بصورة قوية وواضحة بعد مجيء الهلاليين (460هـ-1047م)إلى الجزائر حاملين معهم لهجاتهم المتعددة ،حيث تغلغلوا في الأوساط الشعبية ،وساهموا في تعريب الجزائر بصورة **جلية، اعترف بها كثير من الدارسين ،بحيث أصبح الأدب الشعبي منذ ذلك الوقت ثمرة من ثمار الثقافة العربية** " [2].

لقد كان لهذا التلاقح الثقافي بين الشعوب أثره البارز على الحياة الاجتماعية والأدبية لهذه العلة انتعش الوسط الشعبي انطلاقا من تعدد اللهجات واختلافها ،فاللهجات الدخيلة كانت سببا مباشرا في ظهور هذا اللون من الشعر الجديد على يد الهلاليين .

بينما يرى بعض الدارسين أن ظهور الشعر الشعبي في بلدان المغرب العربي يعود إلى انتقال نماذج من الشعر الشعبي المشرقي في القرن الرابع للهجرة[3] ، إلا أن الرأي الأرجح والأقرب إلى الصواب –في نظرنا –يعود إلى عامل التلاقح الثقافي عن طريق الهجرة .

---

[1] التلي بن الشيخ "دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة "ص389
[2] المرجع نفسه ص391
[3] المرجع نفسه ص 392
[4] المرجع نفسه ص 398

ومهما يكن من أمر فإنها جميعا من العوامل التي ساهمت في بروز هذا النوع من الشعر وانتشاره في الوسط الثقافي الجزائري وفي البيئة الشعبية . ومهما يكن من أمر فإنها جميعا من العوامل التي ساهمت في بروز هذا النوع من الشعر وانتشاره في الوسط الثقافي الجزائري وفي البيئة الشعبية .أما عن الأزجال والموشحات فإن هجرة الأندلسيين كانت سببا آخر في انتشار هذا النوع في الأوساط الجزائرية ولاشك في أنهم قد أثروا في الشعراء الشعبيين بواسطة ما حملوه معهم من أنماط الغناء والطرب التي كانت سائدة في الأندلس[4]، إذ يرى بعض الدارسين أن الموشحات قسم من أقسام الشعر العربي الرسمي ،يتميز بأنه يقبل في آخر جزء منه إدخال العامية ،أو الأعجمية وهي شرط في اعتباره موشحا ،على الرغم من عدم وجود دراسات خاصة بالموشحات الجزائرية إلا أن السمة الغالبة على هذا النوع من الشعر الشعبي لا تختلف عن القصيدة الشعبية سواء في لغتها وتراكيبها أو أسلوبها في مخالفة قواعد اللغة المعربة ،ولعل أبرز ما يميزها عن القصيدة هو محافظتها على طريقة نظم الموشحات و ارتباطها بالغناء ،ولا يزال المغنون الجزائريون إلى اليوم يطلقون مصطلح أغنية أندلسية على هذا النوع من الغناء ولا يفرقون بين الموشح الأندلسي والموشح الجزائري [1]، ولهذه العلة يرى العالم الفرنسي (**جوزيف ديسبارمي**) أن الشعر المغربي بصفة عامة والجزائري بصفة خاصة إنما يستمد أصوله البعيدة من أشعار بربرية وقبل احتلال الرومان للجزائر[2]

4. موقف الشعر الشعبي الجزائري من الاحتلال الفرنسي :

إن الحديث عن الثورة النوفمبرية العظيمة يفضي بنا إلى تتبع تلك الجرائم الدامية التي اقترفت في حق الشعب الجزائري ذلك الذي وجهت إليه ضربات قاسية ركز فيها المستدمر الفرنسي على نهب الثروات الوطنية والاستيلاء على الأراضي الخصبة والقضاء على مصادر الثقافة و اضطهاد الأفراد بصور شتى .

هذه الظروف مجتمعة فجرت قرائح الشعراء بعدما أدمت قلوبهم فجاءوا بشعرهم معبرين عن هذه المأساة محرضين على الثورة آملين في غد جديد مشرق ولم يكن أمام هذا الشعب البسيط إلا لغته ،لغة التخاطب اليومي التي رأى فيها الملجأ و الملاذ الآمن الذي ينفس فيه من ضائقته كنوع من التطهير –على حد تعبير علماء النفس – حينها وجد في الشعر الشعبي المتنفس الوحيد .

وبالفعل فإذا رجعنا إلى شعر الثورة آنذاك وجدناه حافلا بصور التكبير والترغيب في الشهادة والتضحية في سبيل الوطن ،فقد أدى الشعر الدور الريادي في تثبيت العزائم وتقوية النفوس وتجنيد أغلبية المواطنين ودفعهم نحو الالتفاف بجبهة التحرير الوطني خاصة وأن الاستعمار كان يدرك جيدا أن شعبا بلا ثقافة شعب ميت وأن الاحتلال الحقيقي هو الاحتلال الذي يبيد ثقافة الشعوب لذلك عمل على تجهيل الجماهير، وتزييف التراث الوطني وطمس معالم الثقافة ومصادرها ،وصنع ثقافة جديدة لا علاقة لها بواقعنا ومثقفينا وتزويدهم بالقيم والأخلاق الاستعمارية[3].

[1] التلي بن الشيخ "دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة "ص408

[2] العربي دحو الشعر الشعبي ودوره في الثورة ص33

[3] التواتي بومهلة "نماذج من الثورة في النص الشعري "دار المعرفة للطباعة والنشر –الجزائر –د-ط-2012-ص21

لقد حاول الشاعر الشعبي من هذا المنطلق التركيز على محاربة هذه القيم الزائفة وضرورة التشبث بالقيم الإسلامية والأخلاق التربوية والعادات والتقاليد الجزائرية الأصلية .فعمل جاهدا على بث الروح الوطنية والقومية ،فثورة الجزائر رمز صادق للإنسان الذي قهر الطغاة ووقف في وجه الظلم والباطل رافضا للهوان والاستسلام، ثورة تحمل الحقيقة والحب ،هي صورة لمأساة الإنسان الذي تسلح بالعزيمة الجريئة والتصميم على الكفاح [1].

أما في مجال الإعلام والتبليغ فقد قام الشاعر الشعبي بدور فعال لا يقل عن الأول أهمية حيث كان ينظم القصائد الطوال متغنيا فيها بميدان المعركة أو ينشدها وهو يتجول في القرى ،والأسواق حيث يتلقاها الرواة والحفظة فكان يصوغ أحداث ثورة التحرير الكبرى كاشفا عن معاركها الحامية شعرا ،ثم ينشدها للعبرة والعظة ، وإذكاء للنفوس باثا الحماس والقوة خاصة وأن السلطات الاستعمارية عملت على تطويق الأهالي بحصار شديد من الإرهاب والتكتم على أخبار الثورة الجزائرية ، وانتصاراتها حتى لا تتسرب إلى المناطق المجاورة ولا يمتد لهيبها ،كما فرضت رقابة صارمة على تنقلات المواطنين ،وإذا كان الشاعر الشعبي يصور نكبة الجزائر بالاحتلال الفرنسي، وما صاحبها من ويلات وجرائم ويبرز سماتها العامة بصورة أقرب إلى الواقعية والأمانة في رصد الأحداث وتسجيل الوقائع ،فإن الدارس للشعر الشعبي يحتاج إلى الكثير من التأني ،والتروي قبل أن يحكم له أوعليه ،ذلك أن ثقافة الشاعر الشعبي تبدو في كثير من الأحيان ثقافة متواضعة لا تمكنه من خلالها من تخيل الأحداث ومناقشتها رابطا إياها بالخلفيات السياسية والظروف الاجتماعية لهذا جاءت نظرته قاصرة للقضايا والمشكلات التي تعان منها الأمة ، فبحكم ثقافته المحدودة لم يدرك الأشياء إدراكا دقيقا فقد كان في عزلة عن ممارسة الحياة السياسية مما يجعل من تصوره للأحداث بسيطا وسطحيا [2].

لقد فرض الغزو الاستعماري هذا الركود والجمود على الحياة الثقافية والأدبية ولم يترك للأهالي فرصة للانفتاح على العالم الخارجي فوقف عاجزا عن التقدم والانطلاق حتى انطوى على نفسه يصوغ أحزانه في قصائد شعبية يرثى بها واقعه الأليم.

والحقيقة أن الشاعر الشعبي وعلى الرغم من ثقافته المحدودة هذه وعدم مجاراته للشاعر الرسمي في التجديد والتطور إلا أن قدرته الذهنية العالية على تطويع الألفاظ العربية وإخضاعها للأسلوب العامي جعلته يتفرد بشعريته ويبدع في هذا المجال الخصب أيما إبداع[3] .

قد نبغ في هذا النوع من الشعر نوابغ في القطر الجزائري ممجدين للثورة التحريرية الكبرى معبرين عن آلامهم وآمالهم في تحقيق النصر والظفر بالسيادة الوطنية تلك غايتهم التي قدموا من أجلها النفس والنفيس، وبذلوا في سبيلها التضحيات الجسام .فثورة نوفمبر لم تنطلق من فراغ وإنما من رحم معاناة الشعب الجزائري على مدى قرن وأكثر من عقدين من الزمن نتيجة القهر الذي سلطه الاستعمار الغاشم على جميع الأصعدة .

فبقدر ما عبر الشاعر عن ذاتيته وصور وجدانه وعواطفه ،عبر كذلك عن ظروف المجتمع واصفا همومه مسجلا لقضاياه **إذ"الشعر تعبير عن نشاط إنساني يعكس ما يجري في بيئة الشاعر من أحداث ووقائع "**[4].

---

[1] عبد الله الركيبي الاوراس في الشعر العربي "ودراسات أخرى –الشركة الوطنية للنشر والتوزيع –الجزائر 1982ص26

[2] التلي بن الشيخ "دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة "ص100

[3] المرجع نفسه ص420

[4] التلي بن الشيخ "دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة "ص8

لقد تمكن الشعر الشعبي الجزائري من تصوير هذا الواقع أحسن تصوير فجاء بالأحداث والوقائع الصادقة متتبعا مسارها كاشفا عن تطويرها و استمراريتها بطريقة ساحرة أذكت القلوب وفجرت الحناجر ولم تدع مجالا للشك في كون هذا الشعب شعب أبي متسلح بالإرادة والعزيمة التي لا تقهر .

وإذا كانت القصيدة تصويرا مكثفا للواقع والرؤى فإن الشاعر فيها يظل يتوق إلى مستقبل واعد وغد مشرق يولد من لحظات التأزم الفاعلة والمندفعة لا المستكينة المستسلمة وتحت لوائها ،وعد ببشرى الانتصار والعزة والكرامة[1]، وها هو الشاعر الشعبي "**إبراهيم غيث** "يخاطب ديغول بنبرة ملؤها التهديد والوعيد:

سر يا ديغول سر في حالك
الجزائر الحرة مهيش ديالك
جيش التحرير أنحيهالك
ديغول سر
سر يا ديغول سر في حالك
هز الفاليزة وأقطع لبلادك
الجزائر الخضرة ما هيش بلادك[2]

5. دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة :

أدى الشعر الشعبي دورا بارزا في الثورة الجزائرية على اختلاف مراحلها فكان شعر نضال وكفاح، رفيق السلاح ،وحامل رسالة يستمد قوته وجبروته من عاطفة دينية قوية ويحمل بين حوائجه ضميرا حيا قويا تطغى عليه الروح القومية الشفافة فانطلق من عاطفة متأججة تمقت الظلم وترى في أهداف الغزو الاستعماري غزوا للدين ،وهدما للكيان الإنساني في هذا الوطن الذي يرفض أن يكون غير عربي مسلم [3]، والحقيقة إن الشاعر الشعبي حين يتمسك بالإسلام، ويفخر بانتصارات المسلمين فإنه يتوق إلى رؤية عظمة هذا الدين وعزة المسلمين تتحقق من جديد في هذا الوطن لذلك كان الماضي هو ملهم الشعراء وباعث النخوة والكرامة في نفوس المواطنين. لذلك كان هذا النوع من الشعر بعيدا عن سلطة التكلف والتعقيد يصدر بصور عفوية لا اصطناع فيها قصد التأثير في عواطف الناس لأنه ينقل واقع مرير ويعيش محنة الاحتلال فيصور أحاسيسه الملتهبة بكل صدق ثم يقدمها بكل عفوية على صفيح ساخن مذكرا بأحداث الماضي حتى يدفعهم إلى الجهاد والتضحية من أجل تحقيق حياة كريمة بعيدا عن غايات وضيعة كالشهرة أو الجاه .إنما جعل غاية شعره أن ينتقم من الغزو الاستعماري الذي استهدف دينه وعرضه وثقافته فنشر الرعب والدمار مقيدا الآمال الطامحة وباترا الأجنحة المدوية مصمما على خنق الحريات وعلى تضييق أجواء الانطلاق[4].

[1] عمر بن قينة "الأدب الجزائري الحديث "تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما ،ديوان المطبوعات الجامعية الطبعة 20173ص76
[2] العربي دحو "ديوان الشعر الشعبي عن الثورة الجزائرية" ثالة للنشر والتوزيع . الجزائر 2017ص98
[3] التلي بن الشيخ دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة "ص233
[4] المرجع نفسه ص99

فكان الشاعر الشعبي يتصرف بطريقته الخاصة أمام هذه العراقيل الاستعمارية أو الحكومية فينجح تارة ويخفق تارة أخرى معبرا عن قول الحق ،هذه الكلمة التي كثيرا ما عرضته للقهر والحبس والنفي والمصادرة لذلك اضطر إلى استخدام أساليب من الكلام وضروبا من القول تسمح له بالتعبير عن آرائه بواسطة الرمز والتورية والتعريض[1].

لقد أصبحت قضية الدفاع عن الجزائر ،واستمرارية الثورة المسلحة ركن أساسي من أركان الإسلام وبالتالي فالتخلي عنها أو تأجيلها يعد كفرا وجحودا ،وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قداسة الثورة وعظمتها[2].

إن امتزاج الدين بالفكرة الوطنية يظهر في قصائد مختلفة سجلت مقاومة الشعب للمستعمر الأجنبي ،ومعظم هذه الأشعار كان شعبيا أو شعرا ملحونا باللهجة الدارجة ،صورت بوجه عام ما تعرض له الشعب من نكبة في دينه ووطنه وقوميته .

هذا ما جعل الباحثون يتفطنون إلى أثر الدين في الشعر دراسة وتحليلا ونقدا ،إلا أنهم اقتصروا على أثر الدين في تغذية العواطف ضد الاستعمار خاصة ما اتصل منه بالروح الشعبية ،مما دفعهم إلى الاهتمام بالشعر الملحون ،هذا النوع الذي حظي باهتمام الباحثين الأجانب الذين نقلوا نماذج منه للتنديد بالعقيدة الدينية، كما اعتبروا الإسلام عائقا شديد القوة على غزوهم للجزائر.

إن لجوء الكثيرين إلى استخدام اللغة العامية في أشعارهم وجعلها المبدأ والمنتهى وحرصهم على استخدام لغة بسيطة تصدر عن واقع الناس وتستجيب لمعجمهم المتداول ،جر بعضهم إلى الوقوع في بعض السلبيات حيث تجردت لغتهم من الجمالية الفنية التي لا تسمو لغة الشعر إلا بها [3]، فكانت هذه اللغة أشبه بلغة التخاطب اليومي تصور مواقف عادية ذات عاطفة فاترة كقول الشاعر :

الطيارة المخدوعة طلقت الدخان عني
الدات الشبان و خلات أولادي[4]

ثم تتداخل الأحداث وتتشابك ولتبرز وحدة التجربة وتنصهر المعاناة في بوتقة واحدة وكأن الشاعر يسلم التجربة الواحد تلو الآخر فتكون في ديمومة وحيوية وتجدد ثم يؤمن بأن الانتهاء إلى الفشل واليأس ،ليس فشلا بقدر ما هو نجاح ،لأن الفشل هو الضياع الدائم والتمزق اللانهائي[5] والواقع أن الشعر الشعبي يجسد تاريخ الثورات الجزائرية غير المدون في إطار سياسي واقتصادي واجتماعي .

لقد جاء الشعبي ليصور نكبة الجزائر بالاحتلال الفرنسي تصويرا صادقا ،ويجسد مختلف جوانب مأساة الغزو الفرنسي فيصوغ هذا الشعور في قالب ديني ،يتخذ فيه من أسلوب الموعظة والعظة والعبرة، والتذكير بالآخرة أسلوبا جديدا يحقق من خلاله أهدافه المرجوة[6].

---

[1] محمد ناصر الصحف العربية الجزائرية من 1954.1947 دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة الثالثة 2007 "ص420

[2] محفوظ كحول –مفدي زكريا "أروع القصائد مع حوار ودراسة أدبية "نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع –قسنطينة 2012 ص19

[3] عبد الله الركيبي"الشعر الديني الجزائري الحديث"دار الكتاب العربي الجزائر المجلد الأول طبعة خاصة وزارة المجاهدين ص 08

[4] محمد ناصر " الشعر الجزائري الحديث "اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975 دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى 1985-ص372

[5] العربي دحو "ديوان الشعر الشعبي"ص288

[6] صالح خرفي "الشعر الجزائري الحديث "المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984ص 306

وعلى الرغم من استخدام الشاعر الشعبي لبعض الألفاظ الحديثة ككلمة الحرية والمساواة ، والاستقلال إلا أن تأثره بهذه الأفكار الحديثة لم يظهر في تجديد رؤيته للأحداث، ولا في تطور أسلوب شعره بقدر ما كان تأثرا بسيطا ،ونقلا لكلمات تتكرر في محيطه الاجتماعي .

ونحن لا ننكر أن للشعر الشعبي أسلوبه الفني الخاص الذي يتذوقه عامة الناس ويفضلنه على الإبداع الأدبي الرسمي ،ذلك أن تطبيق المقاييس الشعرية ينبغي ألا تطبق بالدرجة نفسها على الشعر الشعبي الذي ينطلق من واقع ثقافي واجتماعي محدود الإدراك ،ويعبر عن ذوق جماعة لها ممتلكاتها وذوقها الأدبي الذي يعكس أحاسيسها وعواطفها[1].

لهذه العلة كان الشعر الشعبي الأقدر على تطويع الكلمات واستخدام المعاني التي تستجيب لأذواق العامة دون تكلف ولا تصنع فتعكس الواقع بعين الحقيقة كما هو ومن نماذج ذلك في الشعر الشعبي استخدام أسماء الإشارة واسم الموصول بصورته الشعبية المتداولة فجاء هذا الشعر ذو اتجاه وطني صميم يدعو إلى الجزائر المسلمة حيث كان الإسلام أداة عمل سياسي موحد يدعو الشباب إلى ترجمة قرآنهم إلى أعمال منتهجين نهج الأجداد الأبرار الذين ما كانوا ماسحين للأحذية ولا أحلاسا للمقاهي كما عمل على مهاجمة السياسة الاستعمارية العنصرية بأسلوب صريح قوي[2] ومن نماذج ذلك :حذف حرف الذال من اسم الموصول (**الذي** ،**و الذين**) أو تشديد حرف اللام كقول الشاعر :

والعالم الأصحاب ياغني عمم و(اللي)حاضرين كل آخر بأسماء

واستعمال اسم الإشارة (**هذوم**)بمعنى هؤلاء و(**هذوك**) بمعنى أولئك

أهذوم أعدانا أنفوهم للبروقية[3]

وإدخال أداة التعريف (**ال**)على الظرف المبني (**هنا وهناك**)كقول الشاعر :

ياحسراه مني سلسانا القدار كان العزالا من البيض و الهيه[4]

هذا غيض من فيض فهناك نماذج كثيرة من الشعر الشعبي كشفت عن قدرة الشاعر الشعبي على تطويع الكلمات العربية ، واستخدامها في أغراض كثيرة لا تختلف عن تلك الأغراض التي كان ينظم فيها الشاعر الرسمي ، وهذا ما يؤكد أن الشاعر الشعبي وبالرغم من انتشار الأمية في الأوساط الاجتماعية إلا أنه يستمد الألفاظ والمعاني من التراث القومي وخاصة القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف وقد يضمن شعره أحيانا آية من القرآن أو نصا من الحديث أو من الشعر العربي[5] .

وبذلك فقد استطاع الشعر الشعبي أن يؤدي رسالته ،ويخدم وطنه ويبلغ هدفه رغم الظروف القاهرة التي واجهته، فالتجأ إلى استخدام وسائل مختلفة تقيه ضربات العدو للهرب من قبضة قوات الاحتلال بإقامة الأسواق العامة في صورة مداح ينشد الشعر ، وزكي الحماس في النفوس مستخدما **"الطبل"و "البندير"** ليوهم المستعمر بأنه شخص مشعوذ يسعى لإضحاك العامة ، مشاركا في

[1] التلي بن الشيخ"دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة "ص102
[2] المرجع نفسه ص 403
[3] محمد ناصر "الصحف الجزائرية من (1847-1954)دار الغرب الإسلامي"بيروت –الطبعة الثالثة 2007ص305
[4] التلي بن الشيخ " دور الشعر الشعبي في الثورة "ص421
[5] المرجع نفسه ص 427

حفلات دينية ومناسبات اجتماعية يروى فيها قصص البطولة والتضحية ، ويحث على الثورة ضد الظلم والخضوع للاحتلال[1] أمثال عبد الحميد زبيش،أم هاني أحمد عامر ،محمد الصالح لوصيف ، مسعود بن بزع ،محمد رواق –علي بكاكرة –علي عناد –حسين هوادف –السعيد حافظ ...إلخ .

والحقيقة أن الشعر الشعبي قد تحول من أسلوب الرفض والمجابهة والدعوة إلى الحرب إلى منطق الواقع ، ومقاومة الاحتلال في ظل تكريس القوانين والإجراءات التي كبلت حريته ،وأكرهته على العيش الذليل في ظروف لا يملك معها أكثر من الشكوى والتبرم بالحياة ،فكانت سياسية التعسف والإرهاب تتعقب الموطنين وتترصد حركاتهم ،ومن تجرأ على إظهار عدم الرضا ،ومقاومة سياسة الاحتلال كان جزاؤه النفي والإبعاد عن الوطن ،حتى القضاة كانوا في الواقع مجرد دمى تحركهم الإدارة كما تشاء ،وكانت الكلمة النافذة لجيش الاحتلال الفرنسي وكبار المعمرين الذين كانوا دائما في خدمة أسيادهم[2].

ومن ذلك قول الشاعر الشعبي :

كولي الملعون أيمكر ويتعدى قالهم في تونس نتفاوض مايبقى لوم
جاوا من المغرب طاحو في وهدى وأحكم الرياس بالخدعة متهوم
الخمسة وأرفاقهم راحو بزهدى ويا معتاه أنهار عنا راه أمشوم[3]

فبهذه النبرة الحزينة والعبارة البائسة والعاطفة المتأججة واجه الجزائريون جيش الاستعمار مكنين له الحقد باثين في نفوس الثوار العزيمة والإرادة ،حتى الأطفال كان لهم نصيب من الاهتمام فقد قال الشاعر :

ياذراري يا الشاويه
ناقلين لعشاريه
حاربوا ولد الرومية
ياوليدي ياوليديه

والمقصود بإبن الرومية أبناء فرنسا الذين زرعوا الذل والهوان في الشعب الجزائري فأراد الشاعر أن يبث فيهم الحماس ويشجعهم قائلا :

تشجعو ياشبان قدموا البغال
نهربوا للجبال
هذا الحرب قدم لينا
الجوع والعطش زاد علينا[4]

[1] التلي بن الشيخ " دور الشعر الشعبي في الثورة "ص428
[2] المرجع نفسه ص433
[3] المرجع نفسه ص 371
[4] العربي دحو "ديوان الشعر الشعبي عن الثورة التحريرية بالعربية و الأمازيغية الشاوية –"ثالة للنشر والتوزيع الجزائر 2007–د–ط–ص268

لقد صور الشعر الشعبي الأهالي في مختلف مواقعهم معذبين ،مشردين ،مجبرين على الإقامة الجبرية داخل الأسلاك معتدى على شرفهم ،نازحين إلى مواطن مختلفة يناشدون الأمن والطمأنينة ،فقد كان هذا الشعر ملازما لهذا الشعب لا يحيد عنه قدر أنملة إذ يقول أحدهم :

إسمعو ياحضار ،صلو على بو لنوار

لعرب لحرا ر ثارو للجهاد أجهار

أجاهدوا في الكفار حمان الصيف العسكر والنار

والضارب في قرزة وفيهم داروا فرجة

واحد ضارب وواحد يرجه

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف ميدان الوغى كاشفا عن وسائل العدو وأماكن المعركة فقد أقبل العساكر على مدينة باتنة بجيشهم العرمرم كأنه السيل العاتي فكانت معركة حامية الوطيس وحربا ضروسا في مقابل محدودية العدة والعتاد،إلا أن الشعب الجزائري آمن بالوحدة الوطنية فلم يتخلى عن واجبه المقدس حيث كان الإصرار والعزيمة دافعا في الفوز بهذه المعركة :

جات عساكر باتنة تحمل

وأتلاقاو في أثنية أرصاص

وأفرايس قعدو قشقاش

حرب أكبير أمضوهم خلاص

شبان أصغار والهرب ليكم عار

ماذا صاير في لوطان الكور مع الدخان

الطيارات عملو بيبان طاحوا أبشوف لعيان

فيهم كماندة وقبطان عسكر وأمعاه السليقان [1]

هكذا صور الشاعر الشعبي هذه الواقعة التاريخية التي حقق فيها الشعب الجزائري انتصاره حيث واجه عدوه بكل شراسة فكان قوة لا تقهر حيث سقط فيها ضحايا من عساكر الجيش الفرنسي يتقدمهم عقيد ونقيب كل ذلك تحقق على مرآي الجميع ،هذه الهزيمة الشنعاء كانت سببا في نكران ضعفه والتستر على خجله

لقد تتبع الشعر الشعبي تفاصيل ثورة التحرير واقتفى أثرها محاكيا ،وهاهي الأبيات تكشف عن المرحلة الأخيرة من الثورة التحريرية ،**جاءت لتذكر "ديغول** "بانصياعه إلى طلب الثورة ،وبموقف الأمم المتحدة من القضية الجزائرية :

واينك ياديغول بكلامك ترضى تقرير المصير شكيتك محتوم

حكموا عليكم أدول جميع البلداى مقال الروز قيلت أمتورخ مرسوم

أجتمعو في إفيان عنكم شهدى مابين الوفدين هذا الشيئ معزوم

[1] العربي دحو "الشعر الشعبي ودوره في الثورة"ص174-175

في توقيف النار عندك تتعدى والشرط اللي بينا يبقى متموم [1]

فلا مراء في كون الشاعر الشعبي كان على دراية بالأحداث الجارية في وطنه على الرغم من محدودية هذه المعرفة في كثير من الأحيان ،إلا أنه آمن بالسيادة الوطنية وبتحقيق النصر مهما طال به الأمد أم قصر ،**فكان الاستمرار** في الكفاح والتضحية واضحا جليا فضلا عن تبشيره بالنصر قبل الأوان واعتقاده الصارخ بعهد الاستقلال والحرية إذ يقول :

يأتي دهر اجديد أحوال تعجب
في كل أبلاد نظموا أمر الجهاد
حلو الأحكام لفرنسا بأمر الإعدام
أتحلت تمام رايسهم يسمع يهرب[2]

لقد أنهى الشاعر نصه الطويل بطريقة يخالف فيها من سبقوه من الشعراء الشعبيين الذين آثروا الدعاء أو ذكر أسمائهم أو الصلاة على الرسول "**ص**"إذ فضل أن يختم بما آلت إليه فرنسا من ذل وهوان حيث ضيق عليها الخناق ،وسدت في وجهها جميع المنافذ،فلا أصل في بقائها واستمراريتها في أرض الجزائر الأبية .

هذا غيض من فيض فالقصائد على تنوعها وثرائها تجعل من الدارس يعجز عن إحصائها وذكرها في هذا المقام الذي لا يتسع لذلك .

فقد شكل الشعر الشعبي سلاحا قويا وقف في وجه الأعداء متحديا صامدا يحمل رسالة إنسانية نبيلة تدعو إلى الحق والسلام والطمأنينة وتندد بالظلم والجور والاستعباد .

لقد واكب الشعر الشعبي تطور المقاومة الجزائرية معبرا عن ضرورة وحدة القوى الوطنية التي كانت تمزق جهودها تلك الخلافات السياسية الواهية أو الفكرية التي لا تخدم القضية الوطنية ولا تمت إليها بصلة ، فلا يستفيد منها إلا أعداء الوطنيين الأحرار ،كما لعب دورا هاما في المحافظة على جوهر الروح الوطنية وعلى استمرار اللغة وتكريس الثقافة العربية في الجزائر ،جزائر العزة والكرامة.

6. خاتمة:

وخلاصة القول لقد حقق هذا الشعر ما كان يطمح إليه الشاعر على الرغم من اختلاف الدارسين في تقدير هذا الدور الذي قام به الشعر الشعبي في شتى مجالات الحياة أثناء الثورة التحريرية الكبرى ولكن ما من شك في أنهم لا ينكرون هذا الدور جملة وتفصيلا ذلك أنه قد لعب دورا جوهريا في قيادة الحياة الأدبية ، والفكرية والنضالية عن طريق التوعية وبث الروح النضالية معبرا عن قضايا وطنية مصيرية وقومية في حدود إدراكه وتصوراته لمختلف القضايا والمشكلات ،ولا ننكر بأنه قد حقق إضافة نوعية في مجال الأدب العربي أيضا .

[1] العربي دحو "الشعر الشعبي ودوره في الثورة"ص182
[2] المرجع نفسه ص186

7. قائمة المراجع:

1. العربي دحو. "ديوان الشعر الشعبي عن الثورة التحريرية بالعربية وا لأمازيغية الشاوية –"ثالة للنشر والتوزيع لمجزائر2007
2. العربي دحو . "الشعر الشعبي ودروه في الثورة التحريرية الكبرى "بمنطقة (من 1954-1962)-الجزء الأول -المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر1989.
3. التلي بن الشيخ -"دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830-1945-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع –الجزائر 1983.
4. التواتي بومهل "نماذج من الثورة في النص الشعري "دار المعرفة للطباعة والنشر –الجزائر2012.
5. صالح خرفي "الشعر الجزائري الحديث "المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1984 .
6. عبد الله الركيبي . ب ط -الشعر الديني الجزائري الحديث -دار الكتاب العربي -الجزائر المجلد الأول طبعة خاصة بوزارة المجاهدين -الجزائر
7. عبد الله الركيبي الأوراس في الشعر العربي "ودراسات أخرى –الشركة الوطنية للنشر والتوزيع –الجزائر1982.
8. عمر بن قينة الأدب الجزائري الحديث "تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما ،ديوان جراح 2012 .
9. محفوظ كحول مفدي زكريا "أروع القصائد مع حوار ودراسة أدبية "نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع –قسنطينة الجزائر 2012 ..
10. محمد ناصر " الشعر الجزائري الحديث "اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975 دار الغرب الإسلامي بيروت 1985.
11. محمد البشير الإبراهيمي -"التراث الشعبي والشعر الملحون "الجزائر تحقيق عثمان سعدي دار الأمة للطباعة والنشر -الجزائر2012 .
12. محمد ناصر "الصحف الجزائرية من (1847-1954)دار الغرب الإسلامي"بيروت2012.